



كنت في المقهى جالساً أنتظره عندما دخل وكانت علامات التعب بادية على وجهه، جلس على الكرسي قبالي ورسم بصعوبة ابتسامة صادقة على وجهه فيها الكثير من المحبة والود والحنو، ابتسمت ورغبت بأن أقبل يده إلا أنني أعرف أنه يرفض تماماً مثل هذا التعبير عن المحبة والاحترام، وبالطبع ما كان لي أن أضمه إلى صدره لهيبته ومكانته عندي، طلبت له كأساً من الشاي الأخضر الذي يحبه، وانتظرت حتى يلتقط أنفاسه، وقلت له:

- لا تتكلم قبل أن تستريح.
- لست تعباً، أنا أكثر شباباً منك.
- سمعت الأخبار؟
- طبعاً، متوقع، هل تظن أنهم سيسلمون بسهولة؟
- ولكنهم توحشوا توحشاً تستحي منه الوحش الضاربة!
- هذه أخلاقهم تظهراليوم للناس حتى يعرفوا مع من كنا نتعامل كل هذه السنين. ومن قبل قال حكيم من حكماء الجahiliyah:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة *** وإن حالها تخفي على الناس تعلم

– هل تعتقد أن القناع قد سقط اليوم، فبدا الوجه الحقيقي بكل قسماته الفاحشة؟؟؟

– بل سقطت كل الأقنعة، وظهروا بكل إجرامهم العريق، قبحهم الراسخ، ودناءة نفوسهم العفنة.

– إنهم مازالوا – مع هذا الإجرام – يقولون: إنهم وحدمن الضمان الوحيد لوحدة سوريا! وأن الملايين المستعبدة من الشعب السوري كلها لا يوجد فيها من يتحقق هذه الوحدة، بل الآخرون يسعون إلى التفتت!! ويتغدون تقسيم هذا البلد الحبيب!!.

– هل هذا – بربك – يصح في ميزان المنطق؟ هل خلت البلاد كلها من المخلصين الشرفاء، ولم يبق إلا أراذل الناس يضمون وحدة البلاد؟

– إعلامهم ومشايخهم يقولون هذا.

– (ابتسم بألم) لا تذكرني أرجوك، لا أعرف بأي عقل يفكر هؤلاء.

– ويقولون كذلك: إن كل من عداهم سيسقط في أحضان إسرائيل، بل هو ساقط في أحضانها فعلاً.

- (قهقهه هذه المرة بـألم) نعم، سمعت شيخهم يقول: إنهم -وهم يضربون الناس العزل في حمص بالمرحبيات وقدائف الهالون- يدافعون عن سوريا ضد ما أرادته إسرائيل.

- إسرائيل اليوم صارت في حمص وحمة ودرعا، مع أن الحدود معها لا تشهد حركة عسكرية واحد، بل سحب جميع الجيش من موقعه التي بني لحمايتها، وأخذ بيده الأحياء إنساناً وبنياناً!! وكأنه اتفق مع اليهود على ألا تخافوا من جهتنا ظاهراً، بعدما أمناكم باطنًا خلال العقود الماضية، عقود "الممانعة" الكاذبة!!!!.

- هيل هؤلاء والله! ويظلون أن الناس - مثلكم - هيل وأغبياء، يتكلمون كلامًا يكاد من سخافته ووهيه يضحك حتى الأطفال!!

- هم يقولون: إنهم بسياستهم الرشيدة استطاعوا أن يحققوا التعايش بين كل الطوائف والملل، وإنهم إن رحلوا سيقتل هؤلاء وتقسم البلاد.

- بالحديد والنار، وبالقمع والقهر، استطاعوا أن يمارسوا طائفتهم النرجسية السادية حتى ركبوا كل الطوائف، وخلقوا طائفيات مقابلة لها الحق في أن تحقد عليهم، وعلى كل من ينتمي إليهم. وبالتدقيق نجد أن هذه العصابة القاتلة تطرح على الساحة معادلة، ما أشد ظلمها! وما أبغى من يقبل بها بعد التدقيق، وتقوم معادلتهم على: إما نحن مع الظلم الطاغي، والقهر الفاجر القاتل للكرامة، أو إسقاط مسرحية الممانعة؟؛ وكأن هذا الشعب كله من الخيانة بمكانة راسخة، فما أن يولى هؤلاء إلى الجحيم حتى تسقط البلاد بأيدي الأعداء لقمة سائفة! إما هم أو جحيم الاقتتال الطائفي، لأنهم يزعمون أنهم صمام الأمان مع كونهم يمارسون اللعب على هذا الحبل الممدود! حيث تنتظر الطوائف غياب هذا اللاعب فإذا بها ينهش بعضاً!!

- إذن فهم البداؤون.

- نعم، هم من علموا السوريين كلهم بالممارسة الوحشية ألف باء الطائفية، حتى صارت سوريا كلها كأنها قائمة على فوهة بركان قد ينفجر في أي لحظة، يقولون إنهم علمانيون، وأنهم يحترمون الجميع، ولكنهم في الحق أبغى الناس وأكثرهم إمعاناً في العشائرية والطائفية، أربعون سنة وهم يمارسون التمييز الطائفي، ثم يقولون هم وحدهم ضامنو وحدة البلاد!!

- وهذا حليفهم الساقط في لبنان يردد ترهاتهم، ويقول إن الشعب الجائع والفقير والمضطهد -والذي تمارس بحقه كل أنواع التمييز والإذلال والإحباط وسد الطرق في وجه الشباب وإهانة الشرفاء من لا يرتضون لأنفسهم أن يكونوا سماسراً لهم- هؤلاء يتآمرون على النظام الممانع الوحيد في المنطقة، من أجل سيادة إسرائيل. وهناك نقطة هامة يمثلها اتهام المستبد طلاب الكرامة، وفيها أن الاستقواء بالأجنبي لا يدل على وطنيّة! والرد على هذا يسير، ولكن الذي يؤلم بلا حدود أن يتshedق بهذا من استعان من قريب بالأجنبـي، وأفتقـي بالوقوف معه، لإسقاط نظام صدام في العراق!!! أحـلال هناك وحرام هنا؟؟؛ عـلماً أن الشجرة الملعونة إذا تركت تلوث الأجـواء، وتسمـم النفـوس، فإنـها تتجـذر تجـذـراً يصعبـ معـه الـاقتـلاـع بـمـقـدـار اـمـتدـادـ تـلـكـ الجـذـورـ!! وـيـظـهـرـ لـلـعيـانـ الآـنـ ماـ يـفـعـلـهـ الـمـنـتـفـعـونـ منـ هـذـهـ الشـجـرـةـ الـمـلـعـونـةـ، وـهـيـ قـارـةـ أـسـرـةـ وـاحـدةـ فيـ الـحـصـونـ الـمـعـدـةـ منـ عـشـراتـ السـنـينـ، وـمـاـ يـقـدـمـ الآـنـ مـنـ تـضـحـيـاتـ هوـ ضـرـيـبـ إـمـهـالـ الـظـالـمـ فيـ مـرـتـعـ ظـلـمـهـ!! سـامـحـنـيـ إنـ أـطـلـتـ هـنـاـ، فـمـاـ قـصـدـتـ الإـطـالـةـ، وـلـكـ الـحـدـيـثـ ذـوـ شـجـونـ!!

- (يسرب قليلاً من الشاي ويضع الفنجان ويُسرح بخاطره بعيداً) نحمد الله - عز وجل - أن فضح هذا الدجال الذي أعجب به أناس يوم أن كان يهرج على السياسة الخارجية، ويجيد اللعب على الحال التي نصبها له امتصاص خيرات البلاد، وتكتيـسـ الثـروـةـ فـيـ القـبـضةـ!! إـلـىـ حدـ العـشـقـ، كـمـ كـذـبـ؟؛ وـكـمـ صـدـقـهـ الآـخـرـونـ!!؟؟؟ إـلـاـ أـنـهـ الـيـوـمـ بـدـاـ عـلـىـ حـقـيقـتـهـ زـيـلـاـ إـلـيـرانـ، وـحـلـيـفـاـ لـمـ يـقـتـلـ النـاسـ كـلـ يـوـمـ بـالـمـئـاتـ لـاـ يـفـرقـ بـيـنـ اـمـرـأـ أوـ طـفـلـ أـوـ عـجـوزـ.

- سيدـيـ، هـنـاكـ مـنـ يـقـولـ أـنـ الصـرـاعـ الـمـعـلـنـ بـيـنـ أـمـريـكاـ وـإـلـيـرانـ صـرـاعـ شـكـلـيـ مـفـتـلـ، وـأـنـ الـأـمـورـ بـخـلـافـ مـاـ يـظـهـرـ تـاماـ.

- هـذـاـ غـيـرـ مـسـتـبعـدـ، وـلـوـ بـمـنـظـارـ الـمـصالـحـ الـتـيـ تـتـحـقـ بـهـذـاـ الـاـفـتـالـ! بلـ لـعـلـ إـلـيـرانـ وـمـنـ تـمـثـلـهـ هـمـ رـأـسـ حـرـبـةـ أـمـريـكاـ الـمـوجـةـ

- الآـنـ - إـلـىـ صـدـرـ الـعـالـمـ إـلـيـسـلـامـيـ.

- تقصد أنهم حلف واحد؟؟!!

- قد يكون ذلك، أو لأقل إن أمريكا لديها عدة سيناريوهات ممكنة، منها أن تركب المد الشيعي لتضرب أي تكتل إسلامي سني يخرج عن دائرة ما تريد.

- أكاد لا أصدق!!!

- انظر إلى الشيعة في باكستان، وأفغانستان تتضح لك الصورة أمامك.

- مازا يعني كل هذا؟

- يعني أن التحالف الأسيدي النصراوي -نسبة للدجال نصر الله- لا يمثل في الحقيقة أي خطر على إسرائيل وأمريكا، بل على العكس هم يمثلون أدوار الممانعة لـ**ليحيدوا الشعوب عن الصراع الحقيقي والفعال مع إسرائيل**.

- والآن مازا فعل؟ القتل على أشده، والتروع والتجويع والتعذيب يمارس بكل أشكاله، أكاد لا أت昑 ما في الليل وأنا أتصور ما يحدث في حمص وغيرها.

- (يشف شفة من الشاي ويسرح بعيداً ثم يتنهى) إيه يا حمص!!!، كم أضحكتنا، واليوم تأبين إلا أن تبكينا.

- ولكنهم يا سيدى رجال، رجال بكل معنى الكلمة، كم أستصغر نفسي أمامهم.

- لعلها روح سيدنا خالد بن الوليد -رضي الله عنه-. وقد انبعثت فيهم، إذ يقبلون على أعداء الله بلا خوف، ويستصغرون الشهادة أمام قتل خنزير واحد من خنازيرهم.

- سيدى.. أكاد أجن، أريد أن أصرخ، أضرب، أمزق، أفعل أي شيء يخفف من غيظي مع أي رمز من رموزهم.

- لا... إياك، أنت هنا ضيف، وعليك أن تحترم مضيفك ولا تحرجه، سيما وأنهم سائرون على الطريق الصحيح، إياك وزملاءك من أي عمل طائش، قد يؤثر في الجالية السورية كلها.

- فماذا فعل إذن؟

- سأقترح عليك وعلى كل سوري هنا أن يتبرع بحصة من ماله تفوق زكاته التي فرضها الله عليه لهؤلاء الذين يزرعون الأمل في قلوبنا ويروونه بدمائهم.

- هذا سهل.

- (ابتسم) أخشى -ولا أقصدك أنت- أن من يميل إلى الضجيج وإلى (فرعة البدو الجهل) عندما تقترب من جيشه يفكر ألف مرة بالبيت الذي ينوي أن يشتريه وأولاده الذين يريد أن يعلمهم في الجامعات، والتوفير الذي يريد أن يدخله في البنك، الصراخ والضجيج -مع أنه هام أحياناً ومعبر-. إلا أنه مجاني، وإن صادف أن أحدكم اليوم خارج سوريا بعيداً عن الخطر فأخشى أن يفكر بطريقة تجعل من ماله أغلى من دماء الشهداء.

- المال أغلى من الدم؟؟!

- مال البعض أغلى من دماء من يعرض نفسه للخطر من أجل تحقيق العدالة وإعادة الأمل بسورية جديدة، هؤلاء الذين يقفون للظلم ويتصدرون له ويأبون العودة إلى بيوتهم يجب ألا يجوعوا، ولا يبردوا، وعائلات الشهداء يجب ألا تضام، وإن خسرنا جميعاً ودفعنا نحن وأنت ثمن الهزيمة مرأ.

- سيدى، هل هناك قنوات مأمونة لإيصال التبرعات؟

- (يضحك بملء فيه) هذا سؤال لا أقبله من سوري، لأن كل واحد منا يعرف على الأقل عشر عائلات تحتاج إلى المساعدة. أحذر من هذا السؤال الذي يقصد به عادة التشكيك من أجل المنع والإمساك، ثم يا سيدى، نعم هناك قنوات مأمونة وموثوقة ولا تحتاج إلى تدقيق.

- وهل يكفي التبرع بالمال؟

- الراحل - الآن - مراهق يا بني، لجروح الثكالى والأرامل والأيتام، هل تعرف... - وشرد بعيداً - إن الشهيد لا يحزنك، لأنه مجرد استشهاده ينفك من أسر هذه الدنيا وينطلق في عالم الغيب الفسيحة، ما يحزن فعلاً هم الأطفال المرعوبون الجائعون، والنساء المتعبات الهلعات، والشباب الذين يعذبون وبهانون!!، هؤلاء هم الذين يستحقون منا كل فضول أمورنا.

- سيدى، سأسعى لذلك بقدر طاقتى، وماذا أيضاً؟

- كلمة حق تفضح المجرم وتظهره للناس بحقيقة البشعة، والدعاء والتضرع لله -عز وجل- كما لو أنا داخل المحنـة وليس بعيداً عنها، إن ما يحزن فعلاً أنتي رأيت هنا أناساً سورين يعيشون حياتهم المعتادة دون أي إحساس بما يحدث لأبناء جلدتهم.

- سيدى.. تكاد كلماتك تقتلنى.

- إذن قم إلى العمل وإياك أن تقصير فنحن في نفير عام، وما أخف هذا النفير عليكم.

المصدر: رابطة العلماء السوريين

المصادر: